مفهوم الهوية

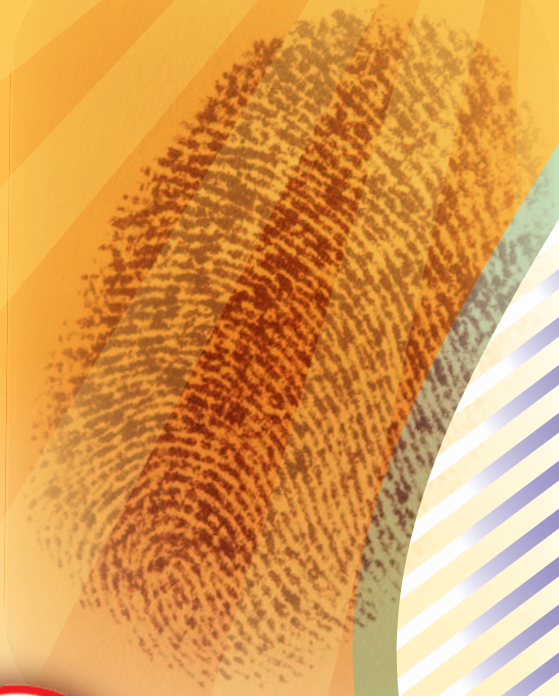

مؤسسة لجان العمل الصحي

Health Work Committees

مفهوم الهوية

مؤسسة لجان العمل الصحي

Health Work Committees

مفهوم الهوية

...المفكر الفرنسي «أليكس ميكشيللي» اعتبر أن الهوية عبارة عن «منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية، التي تتمثل في وحدة العناصر المادية، والتمايز، والديمومة، والجهد المركزي. وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة، التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه، ويشعر بوحدته الذاتية.»

تبيّن في الفرضية أن الباحث يرى الهوية في ثلاثة أطر أو دوائر، وهي ذات الفرد ومجتمعه وإنسانيته. عموما، فإن الكثير من الباحثين الاجتماعيين، اعتبروا أن الهوية تدور في دوائر ثلاث، وإن اختلفت هذه الدوائر حسب وجهة نظر راسميها ويمكن الإشارة هنا، إلى أن العديد ممن عالجوا هذه الموضوعة أشاروا إلى هذه الدوائر المتداخلة :

- دائرة الفرد ضمن مجموعة واحدة، باختلاف أنواع هذه المجموعات، بحيث يتمايز الفرد عن ذويه من نفس المجموعة بهوية خاصة.
- دائرة المجموعة المتمايزة ضمن الأمة.
- دائرة الأمة المتمايزة بين الأمم الأخرى.

تكون الهوية الفردية

نظرية «أريك أريكسون» حول تكون الهوية الفردية، هي واحدة من أعمق المساهمات في هذا الموضوع. وقد توصل إليها من خلال بحوث إكلينيكية طالت ثلاثة عقود. والحقيقة أن «إريكسون» يمثل بذاته نموذجا للدراسة، فقد حملته ظروفه من بلد إلى آخر، وعاش في عائلة متنوعة قوميا، وعاصر صراعات أوروبا زمن الحرب وما بعدها. ولهذا كانت حياته موضوعا لدراسة مسارات التفاعل بين الفرد ومحيطه، في كل مرحلة من مراحل حياته.

عالج أريكسون مسألة الهوية من زاوية سيكولوجية بحتة، و النقطة المركزية في نظرية أريكسون هي أن الهوية لا تتشكل بتأثير المحيط الاجتماعي فقط، وبالتالي فقد شكك في النظريات التي تفترض إمكانية خلق هويات صناعية جديدة تماما عبر جهد مخطط. كما شكك في الرؤية الفردانية القائلة بأن الفرد قادر على فصل نفسه عن المحيط واختلاق هوية جديدة مستقلة تماما.

طبقا لأريكسون فإن هوية الفرد تتشكل خلال كفاح طويل، يبدأ في مرحلة المراهقة، ويتركز على تركيب عنصرين: أولهما إكتساب القدرة على الإنتاج والعلاقة مع المحيط، وثانيهما الإحساس بالإندماج في عالم معنوي مناسب.

العنصر الأول ضروري لأن الفرد يحتاج إلى تعريف نفسه للمجتمع المحيط به، فحين يسألنا الناس من نحن؟ فإنهم لا يقصدون عادة الإسم الذي نحمله، بل موقعنا في شبكة العلاقات الإجتماعية، أي الدائرة الصغيرة التي ننتمي إليها ضمن الدائرة الإجتماعية الكبرى، والوظيفة التي نقوم بها ضمن هذه الدائرة. ولذلك لا يكتفي الفرد بذكر إسمه الأول بل يضيف إليه إسم العائلة، ثم يلحقه بما يفترض أنه تعريف وظيفي، يشير إلى المهنة أو الهواية أو المكانة. وحين يعرف الإنسان نفسه فإنه يقدم وصفا يتوقع قبوله من جانب المحيط، كتمهيد للإندماج فيه. وهذا يقودنا إلى العنصر الثاني، وهو حاجة الفرد إلى عالم ذي معنى يتيح له التمتع بقدراته والحصول على المكافأة المناسبة إزاء ما يفعل.

يمكن للإنسان أن يعيش منعزلا، لكنه لن يتمتع بحياته، ولهذا يسعى جميع الناس إلى مد جسور العلاقة مع جماعة ما، لأن الجانب الأعظم من متعة الحياة، أو السعادة، إنما يتحقق في ظرف التفاعل بين الفرد والآخرين . لا يستطيع الفرد الشعور بالسعادة إذا كان منعزلا. بقدر ما يتسع المحيط الذي يتفاعل معه الفرد، وتتعاظم سعادته واستمتاعه بحياته. ومن هنا قيل بأن من يستغن عن الناس يفقد الشعور بجمال الحياة، لأنه في حقيقة الأمر يفقد الحاجة إلى التحدي اليومي الذي يفرضه التفاعل المادي والمعنوي بين الفرد ومحيطه. والحاجة للاندماج هي التي تفرض على الفرد نمطا من الخيارات والأوصاف الشخصية قد لا تكون بالضرورة الأفضل عنده، لكنها ضرورية لشق طريقه وسط الجماعة.

من ناحية أخرى فإن الجماعات قد تتفاوت في قابليتها لإندماج الأفراد الجدد، بمعنى أنها قد تضع شروطا عسيرة، أو تفرض على الفرد التخلي عن خياراته الخاصة مقابل التمتع بفضائل العيش الإجتماعي، أو أنها ببساطة ترفض إندماج أي فرد جديد ما لم يكن متماثلا بالكامل معها. ويشير كثير من الباحثين إلى أن المجتمعات القروية تتسم عادة بعسر في هذا الجانب، بينما تتسم المجتمعات المدنية بليونة أكبر في التعامل مع الأفراد الجدد. ويذكر الأستاذ «سعيد الغامدي» في دراسته الفريدة «البناء القبلي والتحضر»، مثالا عن الطريقة التي عومل بها وافدون جدد إلى مجتمع قروي لم يسبق أن عاش فيها «أجنبي». وقد جرت تلك الأحداث في ظرف الانتقال من إقتصاد

الكفاف الزراعي، إلى الإقتصاد النقدي الذي فرض إنفتاحا وانتقالا لبعض أنماط الحياة المدنية إلى الريف.

يوفر البحث في مسالة الهوية فرصا كبيرة، لفهم العلاقة بين أطياف المجتمع والشرائح التي يمثل كل منها نمطا حياتيا أو ثقافيا مختلفا، وهي قد تشكل مدخلا ضروريا لتخطيط النظام الاجتماعي والتربية على نحو يسهل الاندماج والتفاعل وإقامة الوحدة على قاعدة التنوع، بدل الربط المتكلف بين الوحدة والتماثل.

تصنيف حالات الهوية

.... يشير «مارشا» في دراساته عن هوية «الأنا» كمحاولة لاختبار صدق افتراضات «أريكسون» عن النمو النفسي الإجتماعي في المراهقة، أن هناك أربعة رتب أساسية للهوية ذات طبيعة ديناميكية، وتتحدد وفقا لظهور أو غياب متغيرين أساسيين هما (خبرة الفرد أو عدم خبرة الفرد لأزمة الهوية) من جانب (والتزام الفرد أو عدم التزامه بما يصل إليه من قرارات) سواء كان ذلك من خلال قراراته الحقيقية، أو كانت نتاج الصدفة، وعلى هذا الأساس فان الفرد يمكن أن يقع في إحدى الرتب الآتية:

١. إنجاز أو (تحقيق) الهوية Identity Achievemen

يتم تحقيق الهوية إذا خبر الأفراد أزمة هوية في مجال أو أكثر من مجالات حياتهم، وتوصلوا إلى قرار معين ، والتزموا بذلك القرار، وهذا مؤشر لنمو «الأنا» بطريقة سوية ونتيجة لذلك، فان محققي الهوية يتمتعون بدرجات أعلى من التوافق ، وتقدير الذات، والإنتاجية، ويعانون من درجات اقل من القلق والاضطرابات النفسية والسلوكية.

٢. تأجيل أو (تعليق) الهوية Identity moratorium

يشير تعليق الهوية إلى خبرة الأفراد الآنية لأزمة الهوية دون الوصول لقرارات، وعادة فإن الأفراد الذين يحققون هوياتهم يمرون بهذه الفترة من التعليق المؤقت، إلا أن الوقوع في هذه الرتبة تعني ديمومة مرور الفرد في أزمة الهوية، فهو في رحلة مستمرة للبحث عن هويته وأهدافه، إلا أنه لايظهر التزاما بها، وعادة ما يستمر في تغيير هذه الأهداف. ومثالا على ذلك إستمرارية الفرد في تغيير تخصصه الدراسي بشكل مستمر. وبالرغم من تدني مستوى هذه الرتبة كمؤشر للنضج النفسي

والإجتماعي، فإنها تمثل رتبة متقدمة مقارنة بالرتبتين التاليتين، ذلك أن الأفراد يظهرون إهتماما بالوصول إلى أهداف ثابتة. ونتيجة لديناميكية الرتب فإن إحتمالات تحولهم إلى رتبة التحقيق تبقى قائمة مع التوجيه السليم.

٣. انغلاق أو (تعويق) الهوية Identity Foreclosure

يقع الأفراد في رتبة الإنغلاق كنتيجة لعدم خبرتهم لأزمة الهوية، حيث يواجهون بقوى خارجية تختار لهم أهدافهم، ومن ذلك إختيار الآباء لنوع الدراسة أو العمل أو غير ذلك لأبنائهم، إلا أنهم مع ذلك لا يظهرون رفضا بل على العكس فإنهم يظهرون تقبلا ورضا بما يحققون، ولسوء الحظ فان هذه الرتبة عادة ما تنال الرضا والدعم الإجتماعي من قبل الآباء، والحقيقة أن الأفراد فيها يعانون من ضعف في نمو «الأنا» ودرجة عالية من الإعتمادية والقلق، وقد يظهر ذلك جليا في حالة فقدان مصدر الدعم.

٤. تفكك أو (تشتت) الهوية Identity Diffusion

وتمثل أسوأ رتب الهوية، حيث يعاني فيها الأفراد من ضعف نمو «الأنا» بدرجة كبيرة وأيضا من المشكلات السلوكية والنفسية التابعة لذلك، ونتيجة لهذا الضعف فان الأفراد يصنفون في هذه الرتبة نتيجة لغياب أزمة الهوية التي لا يخبرونها أصلا ولا يظهرون اهتماما بذلك، إلا أنهم يختلفون أيضا عن المنغلقين في أنهم لا يظهرون أي التزام بما تشاء الصدف أن يقوموا به من أدوار، ولذا فقد يتركون هذه الأهداف لأسباب مختلفة، وحتى لو لم يتركوها فإنها لا تمثل لهم أكثر من أدوار فرضت عليهم، وفي الغالب فإنهم يظهرون إضطرابات تختلف في حدتها، وقد تصل ببعضهم إلى العدوان والإنحراف والجريمة.

نظرية «أريك أريكسون» حول التطور النفسي الإجتماعي واحدة من النظريات المهمة التي تحلل بمنطقية علمية مراحل نمو الإنسان ومؤثرات تكوينه الشخصي والسلوكي.. والنظرية تتفق من حيث المبدأ مع نظرية التحليل النفسي لفرويد لكن أريكسون يؤمن بان شخصية الإنسان تتطور عبر مراحل متسلسلة وأن التجارب الإجتماعية تؤثر في تشكيل وإعادة تشكيل هذه الشخصية.. وأحد أهم عناصر نظرية أريكسون هو تطور -هوية الذات- ، وهوية الذات هي «الإدراك الواعي للنفس التي نطورها من خلال التفاعل والتواصل الإجتماعي»، وأريكسون يعتقد أن هويتنا الذاتية تتغير

باستمرار نتيجة لتعرضنا لتجارب ومعارف جديدة.. بالإضافة إلى هوية الذات فإن أريكسون يعتقد، أن الشعور بالكفاءة تعمل على تحفيز السلوك والفعل، ويرى أن كل مرحلة تبعث في الفرد القوة لكي يصبح مناسباً ومؤهلاً لشغر موقع ما في الحياة،

وأريكسون يعتقد أن الناس في كل مرحلة يمرون بتجربة «الصدمة» أو الصراع، وهذا يعتبر تحول كبير في تطور ذواتهم، ويضيف أن هذه الصدمات أو الصراعات تتمركز أما حول تطور نوعي لسايكلوجية الفرد، أو الإخفاق في تطوير قدرات نوعية، وخلال هذه التجارب فإن إمكانية تطوير شخصية الفرد ونموها بشكل إيجابي أو ربما سلبي، إحتمال تقرره البيئة المحيطة، وهذه المراحل هي:

× المرحلة الأولى: النفسية الإجتماعية الثقة مقابل الشك

المرحلة الأولى حسب نظرية أريكسون الخاصة بالتطور النفسي الإجتماعي تحدث، بين الفترة الأولى من الولادة إلى العمر سنة، ويعتبرها المرحلة الأهم في حياة الإنسان وذلك لأن الطفل يكون بشكل تام إتكالي وغير مستقل.. وتطور الثقة لديه تعتمد على نوعية ووثوقية من يقدم الرعاية له، فإذا استطاع الطفل تطوير ثقته، فانه سيشعر بالأمن و لرضا، بينما إذا ما حرم من العاطفة أو عومل بمزاجية متقلبة، أو قوبلت رغباته بالرفض، فان ذلك سيساهم في تدني إحساسه بالثقة بنفسه، ولذلك فان إخفاقه في الشعور بالثقة سوف ينتج عن ذلك خوف وسيعتريه إيمان عميق بأن العالم الذي يعيش فيه غير آمن، وأنه لذلك لا يمكن التنبؤ بما ستؤول إليه الأمور..

× المرحلة الثانية: النفسية الإجتماعية الإستقلالية مقابل الحياء والشك

المرحلة الثانية تحدث خلال حياة الطفل المبكرة وتكون مركزة حول تطوير الطفل مشاعره المرتبطة بالتحكم في شخصيته... وكما يعتقد «فرويد» فان «أريكسون» يؤمن بأن تدريب الطفل على استخدام الحمام يعتبر جزءاً مهماً جدا في هذه العملية، ويؤمن أريكسون بخلاف فرويد، أن تعلم الطفل التحكم في عمل وظائف جسده ستقود إلى الشعور بالقدرة على التحكم والشعور بالإستقلالية، وهذه مهمة للشعور بالرضا والثقة..

وكذلك تحكم الطفل في تقرير الطعام الذي يرغب في تناوله بإستقلالية أو اختياره للألعاب أو الملابس، فهذه مؤشرات على أن الطفل يشعر بالأمن والرضا والثقة، بينما من لا يعمل وفق هذه الآلية فانه في الغالب ينتابه الشعور بالدونية والشك والخجل..

× المرحلة الثالثة: المبادرة مقابل الشعور بالذنب

خلال سنوات ما قبل المدرسة، يبدأ الأطفال في تأكيد قوتهم وسيطرتهم من خلال توجيه اللعب والنشاطات الإجتماعية الأخرى، والأطفال الذين ينجحون في هذه المرحلة يشعرون بالقوة والمقدرة في قيادة الآخرين، بينما الأطفال الذين يخفقون في اكتساب هذه المهارات، يغمرهم الشعور بالذنب والشكوك، ويفتقرون لدافعية روح المبادرة، طبعا نجاح الطفل في تحقيق ذلك يتوقف على الدعم الإيجابي ونوعية التنشئة التي يوفرها له والداه ومحيطه الأسري..

× المرحلة الرابعة: المثابرة في مقابل الدونية

هذه المرحلة تغطي المرحلة الدراسية المتقدمة، أي من تقريبا العمر الخامس إلى الحادي عشر، فمن خلال التفاعل الاجتماعي يبدأ الأطفال بتطوير مشاعر الفخر بمنجزاتهم الدراسية وبقدراتهم.. والأطفال الذين يجدون الدعم والتشجيع من أهاليهم ومدرسيهم، فإنهم يطورون مشاعر وأحاسيس تنافسية تدفعهم إلى مزيدٍ من البذل وتمنحهم المزيد من الثقة بالنفس..بينما الأطفال الأقل حظا في مسألة الدعم والتشجيع نجدهم حسب أريكسون يطورون مشاعر سلبية عن ذواتهم وبالتالي لن يتقدموا دراسيا، وقد يترتب على ذلك معاناة وألم وإحباطات، تشعرهم بالدونية التي ستشل فيهم الهمة والقدرة على التفكير الصحيح..

×المرحلة الخامسة: الهوية مقابل الحيرة والإرتباك

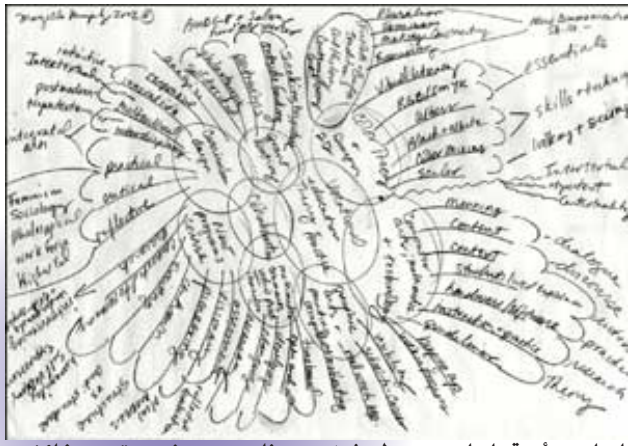

... أثناء مرحلة المراهقة والشباب، الأطفال يكتشفون استقلاليتهم ويطورون أحاسيسهم حول الذات، فهؤلاء الذين يجدون دعماً وتشجيعاً إيجابياً خاصة فيما يتعلق بسلوكهم الشخصي، سوف يخرجون من هذه المرحلة، وهم معتزون بذواتهم وتغمرهم مشاعر البهجة والإستقلالية والقدرة على التحكم، بينما الآخرين ممن لا زالوا غير متأكدين من إيمانياتهم أو قناعاتهم حول ذواتهم، فإنهم سوف يبقون خائفين ومرتبكين حول أنفسهم والمستقبل.

×المرحلة السادسة: الألفة مقابل الإنعزال

هذه المرحلة تغطي فترة النضوج المبكر عندما يكتشف الناس علاقاتهم الشخصية، يؤمن «أريكسون» انه من الأهمية بمكان أن يطور الناس علاقات وثيقة وصادقة مع الآخرين، فالناجحين في إقامة علاقات جيدة سوف يطورون صداقات وثيقة وآمنة، وبالتالي سوف ينجحون في حياتهم العملية والإجتماعية، ويؤكد «أريكسون» بأن كل مرحلة تعتمد على المهارات التي اكتسبت في المرحلة السابقة، غير أنه بخلاف فرويد الذي يعتقد أن تجاربنا المريرة أو الجيدة التي مررنا بها في مراحل نمونا المبكر، تبقى منطمرة في اللاوعي، لكنها تظل تسيطر وتوجه الكثير من سلوكياتنا، بينما «أريكسون» يتصور أن الإنسان قد يتحسن أداءه بفعل تغير الظروف الإجتماعية التي ربما ساهمت سابقا في تشويه تصوراته عن ذاته..

الهوية الوطنية الفلسطينية

مفهومها: هي مزيج من المقومات والمكونات ذات العلاقة والترابط الجدلي فيما بينها، بحيث لا يمكننا عزل أي مكون عن الآخر، وهي هوية ذات خصوصية بالغة بفعل الظروف الصعبة التي أحاطت بالقضية الوطنية الفلسطينية وما زالت، وأبرز هذه الصعاب والمعيقات، جثوم الإحتلال بكافة أشكاله على كافة ربوع الوطن. وهذه المكونات هي :

الذات الحاملة لهذه المقومات بكل ما اكتسبته من عادات وتقاليد وقيم وثقافة من البيئة المحيطة .

اللغة .

الثقافة .

الفكر .

التراث .

القومية .

الجنسية .

العرق .

أزمة الهوية الوطنية والتحديات التي تواجهها

مرحلة الأربعينيات وأوج تشكل الهوية وتبلورها

النكبة والإنتكاسات التي واكبت هذا الحدث الأليم

اتفاقيات أوسلو : تطبيع – عولمة ..... الخ

رسالتنا

نحن لجان العمل الصحي، مؤسسة اهلية صحية تنموية فلسطينية تتميز في تقديم خدمات الرعاية الصحية النوعية والشمولية وبناء نماذج تنموية لجميع شرائح المجتمع وخاصة الفئات المهمشة والفقراء، من اجل تمكين وتعزيز صمود الشعب الفلسطني، من خلال تعزيز ادارة تشاركية وكوادر مهنية تتمتع بالكفاءة والتأثير في السياسات العامة والقطاعية ذات العلاقة وصولا الى نظام صحي شامل، كحق اساسي من حقوق الانسان المستند الى مواثيق واتفاقيات حقوق الانسان الدولية كافة.

مؤسسة لجان العمل الصحي

Health Work Committees

مؤسسة لجان العمل الصحي

البيرة – سطح مرحبا – ص.ب ٣٩٦٦
هاتف: ٢٤٢٧٥١٨ ٢ ٩٧٢+
فاكس: ٢٤٢٧٥١٧ ٢ ٩٧٢+
بريد الكتروني: info@hwc-pal.org
صفحة الكترونية: www.hwc-pal.org

مؤسسة لجان العمل الصحي
Health Work Committees

02 2988639
BISAN بيسان
Design & Publishing